الابتسامة الباهتة

٢

يستطيع أى شخص ـــ بسهولة ـــ أن يرى ويعاين المكان الذى قتل فيه السادات .

إن مسرح الأحداث التى وقعت فى منتصف نهار ٦ أكتوبر ١٩٨١ كان منصة العرض العسكرى الدائمة فى حى (مدينة نصر) .. شهدت هذه المنصة فى دقائق معدودة إحساس السادات بالزهو والقهر .. بالمجد والموت .. بالغطرسة والضعف .. وفيما بعد ارتبط مقتل السادات ارتباطا وثيقا بالمنصة .. وأصبح من الشائع أن يسمى الناس حادث اغتيال السادات باسم (حادث المنصة) .

تقع المنصة على طريق عريض فى مواجهة (النصب التذكارى) للجندى المجهول .. تمر عليها فى كل لحظة من لحظات النهار مئات السيارات الخاصة والمركبات العامة فى تدفق وزحام يفرض على ركابها عدم الالتفات إلى ذلك المبنى الأسمنتى المكشوف الذى يبدو كما لو كان (مقصورة) ملعب كرة أو ستادا رياضيا ..[1] .

فى قلب المنصة توجد مقصورة الشرف الرئيسية .. حيث اعتاد أن يجلس فى صدرها السادات وحوله كبار الضيوف وكبار رجال الدولة .. وتبدأ مقصورة الرئيس بسور عرضه ٣٠ سنتيمترا وسمكه ٥ سنتيمترات ، مغطى بطبقة من الجرانيت الأحمر بها عروق سوداء .. ويرتفع هذا السور عن الرصيف بمتر ونصف المتر فقط .. أى أقل من طول الشخص العادى .

داخل المقصورة ترتفع الأرضية عن مستوى الرصيف بحوالى ٨٥ سنتيمترا فقط .. وتصبح المسافة بينها وبين السور أقل بنحو ٢٠ سنتيمترا .. وذلك حتى يتمكن الجالسون من رؤية ما يمر أمامهم بسهولة .. وحتى يرتفع مستوى صدورهم عن مستوى السور .. ثم يتدرج ارتفاع الأرضية فى ثلاث درجات ، ليتمكن أصحاب المقاعد الخلفية من رؤية العرض .

هذه المواصفات والارتفاعات سهلت ـــ دون شك ـــ نجاح عملية الاغتيال .. فانخفاض مستوى السور

---

(١) البيانات الفنية عن المنصة مصدرها معاينة النيابة العسكرية بعد الحادث .. وقد كانت هناك معاينة أولى قام بها العميد محمد عبد المنعم حسن رئيس النيابة العسكرية يوم ٨ /١٠ /١٩٨١ ، وكانت هناك معاينة ثانية تمت يوم ٢٥ /١٠ /١٩٨١ بمعرفة العقيد حسين عبد القادر حسن .

جعل خالد الاسلامبولى ورفاقه يطولون السادات .. وجعل أحدهم يقفز وراء السور إلى داخل المقصورة ليتأكد من تنفيذ الخطة .. ومن أن السادات قد لفظ أنفاسه الأخيرة .

تنتهى المقصورة بجدار خلفى .. يبعد عن السور الأمامى بنحو ٢٠ مترا .. مغطى بالجرانيت الأسود .. على منتصف جزئه العلوى صقر قريش الذهبى .. تحته باب زجاجى ، مقسم إلى ٦ دلف عرضه ٥ر٨ متر وارتفاعه ٥ر٢ متر .. وزجاج الباب من النوع البللورى النقى ، المركب داخل إطارات من النحاس الأصفر الذى كان يبرق مثل الذهب . وعند منتصف السور الأمامى للمقصورة رسم على أرض الطريق خط أبيض ، عمودى على المقصورة ، ويمتد ـ مخترقا عرض الطريق ـ حتى يصل إلى النصب التذكارى .. وعند هذه النقطة بالضبط ولكن خلف السور وقرب الأرضية ، يوجد لوحة رخامية بارزة تشير إلى مكان جلوس رئيس الجمهورية .

عرض الرصيف هنا حوالى ٨ر٣٥ متر .. أمامه طريق صغير لوصول السيارات الرسمية عرضه ٥ر٦ متر .. ويفصل هذا الطريق الضيق عن طريق العرض جزيرتان صغيرتان كلّ بعرض ١٠ر٢ متر مزروعتان بأشجار النخيل . على جانبى المقصورة الرئيسية توجد أربع مقصورات فرعية .. اثنتان يمينا واثنتان يسارا .. والمقصورة الرئيسية منفصلة عن المقصورات الجانبية بحائطين يمتدان من الخلف حتى نهاية المنصة .. ويوصل إلى المنصة من جانبها سلمان لكل منهما ٥ درجات .

ويعلو المقصورة الرئيسية من الخلف ، مقصورة علوية ، مقفلة ومسقوفة ، خصصت لحرم الرئيس ولباقى زوجات المسئولين والضيوف وعائلاتهم .

□□

حتى منتصف نهار ٦ اكتوبر ١٩٨١ لم يتصور أحد أن هذا المكان سيدخل التاريخ .. ولم يتصور أحد أن طول المقصورة وارتفاع الأرضية وسمك الرصيف ونوع الجرانيت الذى يغطى السور ، أشياء ومقاسات ، سيتوقف عندها المؤرخون .. لقد كان ذلك ـ حتى بداية العرض ـ جزءا من اهتمامات المهندسين والمقاولين فقط .

قبل الساعة الحادية عشرة بقليل من صباح ذلك اليوم ، أقبل موكب السادات بسيارته المكشوفة التى يطل منها وإلى جانبه نائبه حسنى مبارك ، يحف بهما من الجانبين ثمانية من الحراس الأقوياء .. ومثلهم من الأمام ومن الخلف .. نفس أسلوب الحراسة المألوف فى موكب الرئيس الأمريكى .

نزل السادات من السيارة الليموزين .. وراح يحيى ضباطه ومستقبليه .. وكان « فى حالة ذهول تام وهو يتحرك كإنسان آلى » على حد وصف (دورين كايز) مراسلة إحدى شبكات التلفزيون الأمريكية فيما بعد .. وكان يرتدى « بزته الرمادية المائلة للزرقة المزينة بعشرات الأوسمة والنياشين والتى صممت له بمعرفة أفخم بيوت الأزياء الأوربية . وإلى جانبه نائبه حسنى مبارك ووزير الدفاع عبد الحليم أبو غزالة بنفس الزى » .

توجه الثلاثة الكبار إلى ضريح الجندى المجهول ، وبينما الموسيقى تعزف السلام الوطنى ، كان السادات يضع إكليلا من الزهور على الضريح .. وبعد انتهاء هذه المراسم ، عادوا إلى المنصة ، وراح

كل منهم يأخذ مكانه فى الصدارة .. انتظاراً لبدء العرض .. وقد كانت البداية ، نفس البداية المعتادة .. القرآن الكريم .. ثم خطاب قصير لوزير الدفاع .. ثم استئذان قائد الطابور ..

فى مكانه فى قلب الصف الأول ، حاول السادات أن يغالب اليأس والقهر بالمبالغة فى التظاهر بالكبرياء .. وحاول أن يخرج من عزلته والأزمات التى تحاصره بابتسامة باهتة ، كانت تموت على شفتيه قبل أن تولد !!

إن الذين حاولوا قراءة وجه السادات فى تلك الدقائق ، كانوا كمن يحاول قراءة لوحة فرعونية باللغة الهيروغليفية قبل اكتشاف حجر رشيد .. على أن هؤلاء وغيرهم اكتشفوا بسهولة اختفاء شبكة الحراسة أمام المنصة ، ولاحظوا أن حرسه الأمريكى الخاص المكون من ١٢ خبيرا قد تراجعوا إلى الخلف ..

لقد بدأ العرض الآن .. وجلس الجميع فى استرخاء يتابعون تدفق القوات .. ومراقبة الحركات البهلوانية المزودة بالألوان لأسراب طائرات الميراج .. وبينما طائرات الميراج تشد الأنظار إلى السماء كانت الدبابات والمدرعات والشاحنات التى تجر المدافع تتوالى على الأرض ..

وفجأة ..

وحوالى الساعة الثانية عشرة ظهرا .. وقفت إحدى عربات (الكراز) التى تقطر مدفعاً عيار ١٣٠ مم أمام المقصورة وقبل أن ينتبه أحد ، فتح باب من أبواب جهنم .. وراحت القنابل والرصاصات تنهمر فى اتجاه السادات .. وبعد حوالى ٤٠ ثانية كان قد فارق الحياة .

□□

إن السيناريو الحقيقى لقتل السادات لايبدأ بسرد تفاصيل تلك الثوانى التى مرت على كل من كان فى المنصة كالدهر .. فهذه التفاصيل ــ فى الواقع ــ كانت تمثل المشاهد الأخيرة فى هذا السيناريو المثير .. أما المشاهد الأولى فتبدأ قبل ذلك بساعات طويلة .. تبدأ فى يوم الأحد ٤ أكتوبر .. قبل التنفيذ بليلتين .. فى مساء ذلك اليوم استقل خالد الاسلامبولى وعبد الحميد عبد السلام وعطا طايل وحسين عباس ، سيارة فيات (١٢٤) يملكها عبد الحميد وقادها خالد بنفسه ، واخترقوا حى (مصر الجديدة) إلى حى (مدينة نصر) وعندما وصلوا إلى مكان المنصة ، نزلوا جميعا من السيارة .. وراحوا يقيسون المسافة بين المقصورة والخط الأبيض الموازى لها ، والذى ستسير عليه السيارة الكراز .. وقاموا بعمل (بروفة) سريعة على كيفية إلقاء القنابل ،مستخدمين فى ذلك الحجارة .. وكانوا وهم يقومون بهذه (البروفة) يتدربون على اسقاط القنابل على مسافة بعيدة عن المنصة ، لأن الهدف من إلقاء القنابل ــ كما قالوا فيما بعد ــ لم يكن القتل وإنما إحداث الفوضى والذعر ، حتى يمكن اصطياد السادات بسهولة .. وكانت الحجارة التى التقطوها من الطريق فى حجم قبضة اليد .

بعد (البروفة) اتفقوا على أن يتوجه عبد الحميد وعطا وحسين إلى منطقة الخيام ، خلف ستاد

القاهرة الرياضى ، حيث كانت تتمركز القوات المشتركة فى العرض .. على أن يتأخر خالد بعض الوقت ويصل بعدهم حتى لايثيروا الشك ..

قدم الثلاثة أنفسهم ــ فى مقر وحدة خالد ــ على أنهم ملحقون من اللواء ١٨٨ مدفعية .. ويبدو أن خبرتهم العسكرية ، وأسلوبهم فى الدخول ، واختيار هذا الوقت من الليل ، وقامة عبد الحميد المديدة ، ونظراته الفاحصة ، يبدو أن كل هذه الاعتبارات كانت كفيلة بأن تخلق لدى جنود الوحدة إنطباعا بأن هؤلاء الثلاثة ليسوا مجرد جنود عاديين .. أو أنهم لايمكن إلا أن يكونوا من أفراد المخابرات العسكرية .. وكان هذا الانطباع كافيا ليسمحوا لهم بالدخول ، دون حاجة لإبراز خطاب الإلحاق المزور .. الذى تخلصوا منه بعد ذلك .

بعد منتصف الليل وصل خالد إلى مقر تمركز وحدته .. وتم إخطاره بحضور الجنود الملحقين الثلاثة بدلا من الجنود المتغيبين .

وحتى يقضى خالد على أى فرصة شك يمكن أن تتولد حوله قام بـ (تكدير) زملائه الثلاثة(٢) عقابا لهم على تأخرهم فى الحضور .. فأمر أحدهم بالعمل (مراسلة) له ، ليكون فى الظاهر فى خدمته ويكون ــ فى الحقيقة ــ بالقرب منه .. وذلك بدلا من جندى المراسلة المعين لخدمته من السرية الأولى .. الجندى ناجى لمعى نظير ، الذى كان قد طلب أجازة فى مساء السبت لمدة يومين ، على أساس أنه ليس مدرجا فى كشوف قوات العرض .. وقد حصل بالفعل على تصريح الأجازة الذى كان ينتهى مساء يوم العرض(٣) على أن يعود إلى مقر الوحدة الأساسى .. ومن باب « التكدير » أيضا عين خالد « الجندى ــ الملحق » عبد الحميد ومعه « عطا » لحراسة مخزن الذخيرة الذى كان عبارة عن خيمة ،وضع السلاح ــ فى صندوقين ــ داخلها . بعد أقل من ٢٤ ساعة .. وفى الساعة الخامسة من مساء اليوم التالى (الاثنين ٥ أكتوبر) كان جنود الوحدة فى حركة دائبة .. كانوا يقومون بأعمال النظافة الشخصية ، ويجهزون ثيابهم التى سيرتدونها فى العرض ، ويراجعون أسلحتهم بعد أن انتهوا من صيانتها .. فى ذلك الوقت تقريبا ، استدعى خالد جنديا اسمه (سيد محمد أحمد خليفة) إلى مكتبه .. إن هذا الجندى هو المسئول عن عهدة سلاح الكتيبة .. وقد طلب منه خالد أن يسلم العهدة إلى الجندى الجديد الملحق (عزت عبد السلام) الذى هو فى الحقيقة(عبد الحميد عبد السلام) .. الذى جاء إلى خيمة خالد ووقع ايصال استلام البنادق والرشاشات الخاصة بالكتيبة .. وكانت حجة خالد فى نقل عهدة السلاح لعبد الحميد أن الجندى (سيد خليفة) سيضاف إلى القوة المشتركة فى العرض .. وعليه أن يتفرغ للاستعداد لهذه المهمة .

وبثقة .. أمر خالد الجنديين عزت عبد السلام وسيد خليفة بنزع إبر ضرب النار ــ حسب

---

(٢) التكدير : تعبير عسكرى يقصد به تأنيب الرتبة الأقل أو تكليفها بأعمال فوق ماتكلف به عادة .

(٣) أقر بذلك الجندى ناجى لمعى فى صفحة ٦١٤ من التحقيقات ، وقال إنه تفاهم على الأجازة مع رقيب السرية الأولى سعيد السيد حسين .

التعليمات ـــ من البنادق لتأمين العرض .. ثم أمر الجندى سيد خليفة بالتوجه إلى أفراد القوة لينبه عليهم بالنوم بجوار المدافع حتى الفجر .. واستدعى عطا الذى أصبح اسمه (أحمد) ليساعد عبد الحميد فى تمييز ثلاث بنادق ، لم تنزع منها إبر ضرب النار بوضع (كهنة) قطعة قماش قديمة ، فى فوهة كل منها ، بألوان تخالف ماوضع فى باقى فوهات البنادق .. هذا أمر طبيعى ، يحدث ـــ عادة ـــ حتى لاتدخل الأتربة فى فوهة البندقية ، التى غالبا ماتكون فى حالة تشحيم ، فيترتب على ذلك عطب فى الأجزاء الداخلية يستغرق وقتا وجهدا فى إصلاحه .. وقد يترتب على اكتشاف التراب مجازاة الجندى ، وهذا أيضا أمر طبيعى بالنسبة لخالد الاسلامبولى ، الذى اشتهر وسط جنوده بشدته كضابط وصرامته العسكرية .

تجمعت إبر ضرب النار الخاصة بتسليح الكتيبة .. تسلمها خالد .. وضعها داخل كيس نايلون فى حقيبته السمسونايت .. ومن المؤكد الآن أن عدد إبر ضرب النار أقل بثلاث من العدد المطلوب ، فكان أن أضاف خالد العدد الناقص من إبر ضرب النار التى كان قد أحضرها له محمد عبد السلام فرج مع القنابل وخزائن الرصاص .. وقد فعل خالد ذلك ، حتى لايفاجأ بمن يمكن أن يفتش على هذه الإبر ، ويكتشف العجز فتتعرض الخطة إلى الكشف .. وكانت القنابل (وعددها أربع) فى حقيبة السمسونايت ، فأخذها ووضعها فى خوذة تخصه تحت السرير .. وراح يساعد عبد الحميد ، وعطا ، وحسين عباس (اسمه الجديد كان جمال) فى تعبئة خزائن البنادق الآلية .

□□

لا أحد يعرف كيف قضى الأربعة ليلتهم .. لكن .. الطبيعة الإنسانية تشير إلى أنهم لم يستغرقوا فى النوم .. وربما لم يعرفوا مذاقه .. فعندما راح أحد جنود (الوحدة) يؤذن لصلاة (الفجر) كانوا أول من قفز من الفراش وبنشاط مذهل راحوا يغتسلون .. ووراء خالد الاسلامبولى أدى الجميع أولى فرائض ذلك اليوم .

انتهت الصلاة .. تناول الجنود إفطارهم .. اصطفوا فى طابور بجوار العربات والمدافع .. وفى تمام السادسة صباحا كان كل شىء معدا .. كل جندى يعرف بدقة مكانه .. ويعرف ماذا سيفعل ؟.. وكان خالد فى ذلك الوقت يقف أمام جنوده وفى يده (الخوذة) وبداخلها القنابل الأربع .. أما خزانة (الرشاش) فكانت فى جوربه .. لم يكن خالد يحمل سلاحا .. وليس من حقه ـــ أصلا ـــ أن يحمل أى نوع من الأسلحة ، حتى الشخصية ، لأن التسليح فى العروض العسكرية قاصر على الجنود وصف الضباط فقط .. وتسليح الجنود بندقية آلية روسى ، ماعدا سائقى العربات فتسليحهم رشاش .. ولأن خالد سيجلس بجوار السائق فى (كابينة) العربة الأولى ولأن رشاش السائق سيكون بينهما فقد رتب خالد نفسه على أن يحصل على الرشاش بعد أن يخرج الخزانة من جوربه ويضعها فى الرشاش ليكون جاهزا للاستخدام !!

أرسل خالد سائق العربة ليشترى له (سندوتشين) للإفطار .. واستجاب السائق .. فسارع خالد باستبدال خزانة الرشاش فوضع المعبأة مكان الفارغة .. ومد يده إلى عبد الحميد فى وقت

مناسب بقنبلتين .. واحدة له .. والأخرى لعطا طايل .. وبعد دقائق عاد السائق حاملا السندوتشين ليجد كل شيء قد تم دون علمه .. ولم يأكل خالد السندوتشين ، وانما طلب من السائق ان يأكلهما نيابة عنه .. وربما مكافأة له .

حانت ساعة الصفر .. وبدأ (قول) العرض يزحف نحو الهدف .. لكن الهدف أمامه عوائق وأخطار .. والعوائق والأخطار مصدرها الأمن والتفتيش .. إن نوع الأمن والتفتيش يختلف من مرحلة إلى أخرى .. فى مرحلة (التمركز) يكون الأمن مسئولية قادة السرايا وقائد (عناصر الوحدة) وهو بالنسبة لكتيبة خالد الاسلامبولى .. كان خالد الاسلامبولى نفسه !!

المرحلة الثانية .. مرحلة (الخروج) من أرض التمركز إلى أرض العرض ، فهى مسئولية المخابرات الحربية .. إن مندوبى المخابرات الحربية يستخدمون مايسمى (التفتيش العشوائى) .. أو التفتيش بالعينة ، بأن يختار الواحد منهم بعض الأسلحة التى فى يد الجنود ويتأكد من خلوها من الذخيرة وإبر ضرب النار .. وقد حدث هذا التفتيش فعلا مع جنود الاسلامبولى .. جاء أحد الضباط وتفحص العربات واختار بعض الجنود للتفتيش على أسلحتهم ، لم يكن منهم عبد الحميد وعطا وحسين عباس .. بل لم تكن عربتهم هى التى اقترب منها الضابط .. وبعد أن انتهى التفتيش ركب الضابط دراجته البخارية التى جاء بها ، وانطلق فى عكس اتجاه سير العرض ليستكمل تفتيشه على باقى العربات .

أما المرحلة الثالثة .. فهى مرحلة الخطر الأكبر .. مرحلة دخول العربات منطقة تفتيش أمن رئاسة الجمهورية .. الجهاز التابع للرئيس مباشرة .. وفى هذه المرحلة يكون التفتيش أدق .. وغير عشوائى .. وبأجهزة الكترونية حديثة .. لكن هذه المرحلة مرت دون أى إزعاج لخالد ورفاقه بالمرة (!!) ودخلت عربتهم إلى الخط الأبيض (الخط الحرام لمنطقة العرض) .. ثم تحركت بسهولة نحو الهدف ..

إن كل شيء أصبح جاهزا الآن للتنفيذ .. الرشاش ممتلىء بذخيرة الموت وكذلك البنادق الثلاث .. والقنابل الأربع نصفها فى كابينة العربة والنصف الآخر فى صندوقها .. وخالد من جانبه أعاد ترتيب جلوس الجنود فى الصندوق بما يسمح بتنفيذ خطته .. ونبه عليهم بالنظر أمامهم فى صرامة .. وقال لهم : (كل واحد وشه قدام على طول) علشان لوحصل تصوير يبان إنكم قاعدين مضبوطين !(٤) ونفذ الجنود الأمر بدقة .

أمام (القول) الذى يقوده الاسلامبولى كانت هناك عربة (تحشرج) وتسير بسرعة أقل ، نتيجة خلل فنى فى محركاتها ، لم يستطع السائق أن يعالجه وهو فى كابينة القيادة .. ولم يثر ذلك اهتمام أو فزع أحد لأنه قد سبقها حادث مشابه ، حينما تعطلت دراجة بخارية فى مقدمة طابور العرض ، ووقع

---

(٤) قال ذلك فى التحقيقات أحد أفراد العربة وهو الجندى صبحى عبد المقصود محمود ، وقد جاء فى التحقيقات أيضا أن خالد كرر هذا التنبيه وقال : (كل واحد يقعد مضبوط لغاية الساعتين دول مايعدوا على خير) وطلب من الجنود أن يقرأوا الفاتحة على الشهداء .

قائدها عليها ، وحمله رجال الأمن بدراجته بعيدا .. لذلك لم يلفت وقوف عربة الاسلامبولى الانتباه .. ولا القلق .. وسهلت الأعطال السابقة المهمة بصورة غير متوقعة .. وأجهزت الطائرات ـــ التى كانت تعوى وتتلوى فى ذلك الوقت فى السماء ـــ على باقى الانتباه .

إن الطائرات كانت تسحب العيون وراءها إلى السماء .. وكانت تتحرك بعنف وانقضاض وعلى ارتفاع منخفض إلى حد أثار الرعب فى نفوس البعض الذى تصور أنها يمكن أن تقتحم المنصة الرئيسية وقد تدكها .. أو على الأقل يمكن أن ترتطم بها .. لكن .. الخطر فى الحقيقة لم يكن من الطائرات .. كان الخطر أمامهم على الأرض .. يزحف ببطء وهدوء وثقة ودون أى إثارة للمخاوف ..

وصلت العربة إلى المنصة الفرعية (على يسار المنصة الرئيسية) .. وفى تلك اللحظات كان المذيع الداخلى للعرض يعلن قدوم المدفعية .. قال (والآن تجىء المدفعية) .. وأضاف (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) « صدق الله العظيم » .. ولأن صوت الطائرات جعل من المستحيل أن يسمع صوت المذيع فقد كان أسهل على خالد الاسلامبولى أنه يسمعه من راديو صغير على تابلوه العربة .. وما إن انتهت تلك العبارة حتى كانت السيارة فى نقطة منتصف المنصة .. وعند هذه النقطة توقفت العربة .. وبدأ الهجوم الجرىء .

□□

أمر خالد السائق بالتوقف .. نزل من العربة .. ألقى بأول قنبلة .. سقطت القنبلة على بعد قليل من سُور المنصة .. أنتصب عبد الحميد فوق العربة .. ألقى القنبلة الثانية .. سقطت القنبلة على بعد خطوات من مكان سقوط القنبلة الأولى .. انتصب عطا طايل وحسين عباس بدورهما فوق العربة .. صوبا بندقيتيهما إلى منتصف المنصة فى اتجاه السادات .. عاد خالد إلى العربة .. خطف الرشاش .. انطلق كالسهم فى اتجاه المنصة .. رصاصات عطا وحسين تشكل له ساترا من النيران يحميه .. عبد الحميد يقفز من العربة .. يلحق بخالد على يمينه .. خلفهما بثلاث خطوات كان عطا طايل من ناحية اليسار .. وأخيرا كان حسين عباس الذى تعطل نتيجة سقوطه تحت عجلات المدفع (الكورى) الذى تجره العربة .

تشكيل هجومى يسمى فى قاموس العسكريين برأس الحربة .. وهو نوع من التشكيلات التى تستخدمها أحيانا فرق كرة القدم ، ويعرفها كل من يتابع مباريات الدورى العام والكأس .

ضغط خالد على الرشاش بتحكم مذهل .. وخرجت ثلاث رصاصات منه .. ثم فوجىء بمقعد من طراز (ايديال) المعدنى يطير فى الهواء من المنصة ويصطدم بالرشاش الذى وقع على الأرض .. وعندما التقطه خالد من جديد وحاول استخدامه ، اكتشف أنه معطل .. ألقى خالد بالرشاش على الأرض وأخذ بندقية حسين عباس منه ، بعد أن لاحظ أن الاجهاد قد سيطر عليه ،بسبب مرض القلب الذى يعانى منه ، وأشار إليه بالانصراف وكان عبد الحميد قد التف من يسار المنصة وقبل أن

يتقدم أكثر أصابته طلقات أحد الحراس فى بطنه .. ولم يتردد عبد الحميد فى أن يصوب سلاحه فى مواجهة مطلق الرصاص ، لكنه فوجىء بالرجل يرفع طفلا صغيرا فى وجهه .. يحتمى به ربما لنفاد ذخيرته وربما لأنه أحس بالخطر .. ابتسم عبد الحميد ابتسامة ذات مغزى ثم قفز داخل المنصة ليتأكد من أن السادات قد مات .. وكان سونكى بندقيته وهو يقفز مشهرا ومستعدا لأن يطعن به صدر وبطن السادات إذا كان لايزال حيا .. لكن السادات كان جثة هامدة !

فى أقل من دقيقة انتهت العملية وقتل (الرئيس المؤمن) .. وقبل أن تكتمل ثوانى تلك الدقيقة ــ التى مرت كالدهر ــ كان عطا وعبد الحميد ينسحبان بسرعة من أمام المنصة فى اتجاه مسجد « رابعة العدوية » .. وبعد أمتار قليلة تعرضا لرصاصات من أسلحة رجال المخابرات العسكرية .. وأصابتهما تلك الرصاصات[٥] وسقطا على الأرض .. وما إن سقطا على الأرض حتى انهال رجال المخابرات والشرطة العسكرية بالاعتداء عليهما حتى كادا أن يقتلا ، لولا أن تدخل من أنقذهما حتى يمكن التأكد من شخصياتهما .. فى تلك اللحظة كان خالد بين المنصة الرئيسية والمنصة الفرعية ويتجه ــ دون أن يدرى ــ من منطقة تتواجد فيها قوات الحرس الجمهورى بكامل تسليحها .. وعلى بعد لايتجاوز ١٥٠ متراً من المنصة سقط خالد برصاصات جديدة أصابته فى أمعائه وقدمه بخلاف الرصاصات التى كانت قد أصابته عند المنصة .. وعومل بنفس المعاملة التى عومل بها عبد الحميد وعطا ، إن لم تكن أشد باعتباره آخر المقاومين .

□□

من سخرية القدر أن خالد وعبد الحميد وعطا نقلوا إلى نفس المستشفى الذى نقل إليه السادات .. مستشفى (القوات المسلحة) على نيل ضاحية (المعادى) .. لقد نقل السادات فى طائرة عمودية هيلكوبتر من طراز (جازيل) بينما نقل الآخرون فى إحدى السيارات العسكرية .. وفى مستشفى المعادى أعلنت حالة الطوارىء وانقسم أمهر الأطباء والجراحين الذين يعملون بها إلى فريقين .. فريق يعالج السادات وفريق يعالج الذين قتلوه .. لكن مهارة الفريق الذي حاول إنقاذ السادات لم تكن ــ وحدها ــ تكفى .. إذ أنه كان قد فارق الحياة بالفعل قبل أن يرفعوه من تحت مقاعد المنصة التى غطوه بها وكوموها عليه .

□□

لسنا فى حاجة أن نعيد تصوير مشاهد الفزع والفوضى والاضطراب التى كان عليها كل من كان فى المنصة بعد الحادث .. فهذه المشاهد أصبحت محفوظة .. وربما محفورة فى أذهان الناس بعد ما شاهدوه من أفلام وصور ، وبعدما قرأوه فى كتب تصور ماجرى .. على أن من المفيد أن نذكر ــ الآن ــ أن جزءا مما حدث كان سببه تصور البعض أن عملية قتل السادات كانت جزءا من عملية

---

(٥) لم يكن مسموحا لرجال المخابرات العسكرية بالاقتراب من المنصة الرئيسية وهذا ماأخر تدخلهم حتى هرب خالد وعبد الحميد بعيدا عن المنصة واقتربا من المنطقة المسموح لرجال المخابرات العسكرية التواجد فيها .

أكبر ، للاستيلاء على السلطة .. وكان نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية (المسئول الأول عن الأمن الداخلى) النبوى اسماعيل ممن آمنوا بهذا التصور فشوهد وهو يهرب وترك المنصة إلى مخبأ أمين اختاره بنفسه تاركا زوجته فى المنصة وسط المولولين ، ولم يسترد الرجل شجاعته ، ولم يعد للظهور على وجه الأرض إلا بعد أن تأكد من خطأ إعتقاده .. وعندما راح يمارس عمله مره أخرى ، لم يستطع أن يتخلص من أوهامه ومن عاداته القديمة وراح يسطر التقارير الأمنية التى أظهر فيها أنه كان على علم بالمؤامرة قبل وقوعها ، وأن أحدا لم يسمع بنصيحته .. ومن باب الرهان على المستقبل.. أنهى تقريره بما يؤكد أنه الوحيد من بين رجال الأمن المؤهل لحماية الرئيس الجديد !!

□□

ليس من الصعب أن نتخيل الصورة التى أصبحت عليها المنصة بعد الحادث .. وليس من الصعب أن نقارن بين صورتها قبل العرض مباشرة وبعد الاغتيال مباشرة .. إن هذه المقارنة لاتحتاج أن نتوقف عندها لأنها أصبحت جزءا من واقعة لن ينساها الجيل الذى عاصرها .. وإن كان من المفيد الأن أن نتابع معاينة النيابة العسكرية التى تمت صباح يوم ٨ أكتوبر ، بعد يومين تقريبا من الحادث .. إن تقرير المعاينة الذى كتب بمعرفة رئيس النيابة العسكرية العميد محمد عبد المنعم أحمد حسن يرصد بعض الملاحظات الهامة التى تكمل لنا صورة ماحدث :

١ ــ تبين عند إجراء المعاينة أن المنصة الرئيسية أخليت من المقاعد والأثاثات وإن كان مايزال بها بعض المصاطب الخشبية .

٢ ــ شوهدت آثار طلقات نارية بالحائط الأمامى للمقصورة الرئيسية .. كما شوهد كسر بالافريز الرخامى للحائط الأمامى للمقصورة .. وشوهدت آثار طلقات نارية بالخلفية الرخامية السوداء لصورة صقر قريش بخلفية المقصورة ، وبالباب الزجاجى الذى يؤدى إلى الصالون الملحق بالمقصورة .. وكان زجاج إحدى ضلف الباب مهشما تماما ، كما كان زجاج ضلفة أخرى مهشما ومازالت بقايا قطع الزجاج متناثرة .. وشوهدت آثار طلقات فى مواضع مختلفة من سقف المنصة الذى كان فيه بعض الكسور الصغيرة ومن أرضية المنصة وفى الأجزاء العلوية من الحائطين الجانبيين .

٣ ــ وجدنا بالرصيف الممتد أمام المنصة آثار حفرتين ملئتا حديثا بالملاط ، الأولى تقع على مسافة ١٨٠ سنتيمترا من سور المنصة وإلى يسار الخط الأبيض بحوالى مترين أبعادها ١٠ × ١٠ سنتيمترات ، والثانية تقع على بعد ٦٫٤٠ متر من سور المنصة وإلى يسار الخط الأبيض بحوالى ٥٫٥ متر بنفس الأبعاد .. وقد أخطرنا الرائد حسين حسن عمر المصاحب لنا فى هذه المعاينة أنه عقب الحادث شوهدت حفرة ثالثة فى الجزيرة الخضراء تخلفت عن إحدى القنابل الثلاث التى انفجرت فى الحادث وقدتم ترميم المكان .

وفيما بعد أخذ على النيابة العسكرية أنها تأخرت ٤٥ ساعة بالضبط على المعاينة[٦].. وخلال تلك

---

(٦) على أساس أن القبض على خالد ورفاقه كان فى حوالى الساعة الواحدة من بعد ظهر ٦ /١٠ /١٩٨١ وأن النيابة العسكرية بدأت المعاينة فى الساعة العاشرة من صباح ٨ /١٠ /١٩٨١ .

المدة التى تعد كبيرة فى عرف جهات التحقيق خاصة فى حادث خطير يمكن أن تكون له أبعاد سياسية وأمنية مثل حادث اغتيال السادات اكتشفت النيابة العسكرية ترميم بعض آثار الحادث ، واكتشفت جمع فوارغ الرصاص ، والأسلحة ومعظم ماتخلف عن الحادث .

إن ماتخلف عن الحادث والذى وصل إلى النيابة العسكرية فى صورة أحراز أشياء متنوعة .. ومتعددة .. وتثير الدهشة والاستغراب أيضا . .

وحتى نرصد هذه الأحراز بدقة وأمانة فإننا لابد أن نعود إلى تقرير الطب الشرعى الذى قدم ــ فيما بعد ــ للقضية التى كان المتهمون فيها خالد الاسلامبولى وآخرين[٧] وقد تضمن التقرير مايلى :

الأسلحة النارية :[٨]

حسب التقرير كانت الأسلحة المضبوطة والمحرزة عبارة عن ثلاث بنادق آلية متماثلة عيار ٧٫٦٢ مم ومدفع رشاش بور سعيد وخزنة خالية وخزنة بها طلقات .. ضبطت البنادق الثلاث بجوار المتهمين .. وبكل منها سونكي وقايش .. وهذا الطراز من البنادق طراز روسى « بماسورة مششخنة طولها حوالى ٤٠ سم مميزة بأربعة ميازيب يمينية » أما طول السونكى فحوالى ٢٠ سم .. والخزانة من النوع المقوس ، وتسع ٣٦ رصاصة .. والبنادق الثلاث المضبوطة حفر على أجهزة إطلاقها الأرقام التالية : رقم ٧٩٧٧ ــ ك ورقم ٤١٢٣ ــ م ورقم ٣١٠ ــ ٨١٥ ــ م .. وحسب التقرير كانت البنادق الثلاث سليمة (وقد نجحت تجربة إطلاقها للحصول على الأظرف المطلوقة منها للمقارنة مع ماعثر عليه بمكان الحادث) .

وكان الحرز الخامس عبارة عن رشاش قصير ٩ ملى ــ طراز (بور سعيد) رقم ٧٧٥٠٩ وهو صناعة مصرية ، وماسورته مششخنة طولها ٢٢ سم (مميزة بوجود ستة ميازيب يمينية الاتجاه) .. « والرشاش كامل الأوصاف وجهاز إطلاقه سليم ، وصالح للاستعمال وقد نجحت تجربة إطلاقه للحصول على الأظرف المطلوقة احتياطيا » ومع هذا الرشاش ضبطت خزانة خالية من الطلقات ، وأخرى بها ١٦ طلقة عيار ٩ م مما يستخدم فيه .. وخزانة هذا النوع ــ أصلا ــ تسع ٣٦ طلقة .. (والطلقات الموجودة متماثلة وحية كاملة وسليمة وكبسولاتها خالية مما يمنع من صلاحيتها للاستعمال ، ومحفور على قاعدة كل منها (ج . ع . م . ــ ٧٨ ــ ٣٧) وطول الطلقة الحية ٣٩مم وطول ظرفها النحاس ١٩مم والمقذوف اسطوانى وقمته قمعية وبعد استخراجه وجد طوله ١٤مم وقطره ٩مم) .

---

(٧) يحمل التقرير رقم (٢ طب شرعى ــ سياد / ١٩٨١ ويقع فى ١٣ صفحة ، ومحرر فى تاريخ ١٩ /١٢ /١٩٨١ ، وموقع من د . رمزى أحمد محمد مدير مصلحة الطب الشرعى (وزارة العدل) و د . فرج أسعد نائب كبير الأطباء الشرعيين ، و د . صبحى اسكندر نائب كبير الأطباء الشرعيين و د . عبد الغنى سليم البشرى كبير الأطباء الشرعيين ومستشار وزير العدل .. وقد أعد التقرير بناء على مذكرة من نائب المدعى العام العسكرى الإجراء المعاينة من وجهة نظر الطب الشرعى ولفحص الأسلحة ومخلفات إطلاق النار .

(٨) ص ــ ٤ من التقرير .

طلقات البنادق :(٩)

طلب الأطباء الشرعيون من نائب المدعى العام العسكرى عينات من (طلقات حية) للبنادق الآلية المضبوطة ، فوردت لهم العينات بالفعل ، وتبين من فحصها أنها من طرازين أحدهما روسى والثانى مصرى يحمل الحروف الأولى من اسم (الجمهورية العربية المتحدة) وهو الاسم الذى استبدله السادات باسم (جمهورية مصر العربية) .

الطلقة الحية الروسى تتكون من مظروف نحاسى ارتفاعه ٣٩مم وحول الكبسولة دائرة حمراء ، وهى معبأة ببارود عديم الدخان ومقذوف (رصاصة) مدببة القمة ومسلوبة القاعدة (أى زورقية الانسياب) طولها حوالى ٢٦ر٥ مم . أما الطلقة الحية المصرى فتتكون من مظروف نحاسى ارتفاعه ٣٩مم خالية من العلامة الحمراء ، معبأة بكمية واضحة من البارود عديم الدخان ومقذوف (رصاصة) قمعية قمتها مدببة وارتفاعها حوالى ٢٣ر٥مم .

ولأحد يستطيع أن يعرف أى رصاص قتل السادات بالضبط .؟ الطراز الروسى أم الطراز المصرى ؟ وليس لجنسية الرصاص أى دلالة سياسية بالطبع !

القنابل الدفاعية(١٠)

حسب تقرير الطب الشرعى انفجرت ثلاث قنابل من التى ألقيت على المنصة وبقيت الرابعة حية كما هى ، دون أن تنفجر .. وهذه القنابل دفاعية وليست هجومية .. صناعة مصرية .. غلافها الخارجى عليه طلاء أصفر وحول منتصفه شريط معدنى يماثل ويطابق فى جميع أوصافه الأشرطة الثلاثة التى عثر عليها بمكان الحادث .

وتتكون القنبلة اليدوية من هذا الطراز من سوسته وياى وإبرة ومفجر ومادة متفجرة عبارة عن صف من قطع معدنية على شكل أنصاف مكعبات هى التى تتطاير عند حدوث الانفجار .

مخلفات الرصاص والقنابل :(١١)

وحسب نفس التقرير عثر فى مكان الحادث على عدد من فوارغ الطلقات يزيد على الستين ، وعثر على بعض الطلقات الحية .. هذا بالنسبة لطلقات البنادق الآلية ، أما بالنسبة لفوارغ رصاصات الرشاش فكان العدد قليلا جدا .. وعثر على مقذوف وشظية ملوثة بالدم ، ضبطا فى مكان اغتيال السادات .

كما عثر على ٣ شرائط نحاس للغلاف الخارجى للقنبلة الدفاعية و٩ شظايا مربعة الشكل من الأجزاء الداخلية لنفس القنبلة ، وتم ضبطها فى المكان الذى اغتيل فيه السادات .

---

(٩) ص ــ ٥ من التقرير .

(١٠) ص ــ ٦ من التقرير .

(١١) ص ــ ٦ وص ــ ٨ من التقرير .

مضبوطات أخرى :[12]

وحتى نستكمل وصف المنصة بعد الحادث ، نؤكد أن هناك أشياء أخرى كانت بها وضبطت وحرزت بعد ذلك .. منها كتاب صادر من فرع الشئون الدينية بإدارة الشئون العامة للقوات المسلحة عنوانه (من فيض الرحمن فى تربية الانسان) عبارة عن أحاديث للشيخ متولى الشعراوى ، وكان الكتاب ملطخا بالدماء .. ومنها ١٠ صور (نيجاتيف) عندما طبعت كانت لصور فوتوغرافية أخذت لمكان الحادث ، أثناء الحادث .. ومنها منديل أبيض به خطوط خضراء وآثار دماء .. ومنها مجلة مصورة عنوانها الرئيسى (٦ اكتوبر القوة والسلام) بها ثقب قطره ٧ × ٤ سم ، وبها كميات من الدماء المتجلطة ، وعليها كارت باسم الفريق محمد عبد الحليم أبو غزالة .. ومنها (ملاية) بيضاء ٢ر١م × ٢ م بها آثار دماء متناثرة وفى أحد أطرافها ثقب قطره ٣ سم .. ومنها ورقة بيضاء عليها عبارة (مع تحيات الشئون المعنوية للقوات المسلحة) وهى ملطخة بالدم من وجهيها .. ومنها بطاقات دعوة ملطخة بالدماء للواء عبد الستار أمين ، وللدكتور صبحى عبد الحكيم ، وفكرى مكرم عبيد ولغيرهم .

□□

لم يستطع أحد أن يفسر وجود (الملاية) البيضاء فى المنصة !

وبدا وجودها مثيرا للدهشة .

وفى الصفحة السابعة من تقرير الطب الشرعى كان هناك لغز آخر .. فقد وجدت قطعة من معدن رمادى خفيف الوزن على هيئة أذن ، على جزء منها طلاء أسود وهى مخالفة لما يتخلف عن إطلاق الرصاص أو عما يتخلف عن القنابل المتفجرة فى الحادث .

ثم .. راحت الألغاز تتوالى .. وراح الشك يتزايد .. وراحت التفسيرات تتوالى .. لكن .. الشىء المؤكد حتى الآن .. أن المنصة انقلبت من (كوشة) عرس إلى (ساحة) للموت !!

---

(١٢) ص ــ ١٠ من التقرير .